Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى أبيه ، وأبدى فى معاملة المستأجرين لباقة وسياسة ، فرضوا عنه على رغم ما عرف عنهم من مشاكسة وفظاظة " .

وعندما كانت تتوق نفسه إلى التنعم بالحديقة وتستمرىء ما فيها من لذة " فردوسية " كان يرى أحيانا أن إدارة هذا الوقف نشاز فى منظومة حياته ، لكنه واجب لا سبيل إلى التخلى عنه ما دام قد كلف به ، وما أشجى ما كان يحدث نفسه قائلا : " الحديقة وسكانها المغردون ، والماء والسماء ، ونفسى النشوى ، وهذه هى الحياة الحقة ، كأننى أجد فى البحث عن شىء ، ما هذا الشىء ؟ النأى أحيانا يكاد يجيب ، ولكن السؤال يظل بلا جواب ، لو تكلمت هذه العصفورة بلغتى لشفت قلبى باليقين ، وللنجوم الزاهرة حديث كذلك ، أما تحصيل الإيجار فنشاز بين الأنغام " وبغض النظر عن ضغط التوق وأشواق العاطفة المبهمة للحب والمرأة فى هذا المشهد فاننا نود أن نبرز من هذا التتبع الموضوعى حقيقة جوهرية ، وهى أن ممارسة أدهم لإدارة الوقف وهو فى كنف البيت الكبير ذاته تعديل جذرى فى دلالة النصوص الأولى يشير إلى أمرين : -

أولهما : أن العدل والحق والإنتاج هى هدف الفعل فى حياة الحديقة مثلما هى هدفه المتحقق حينا ، والمعطل فى أكثر الأحيان ، فى حارتنا .

وثانيهما : أن سر اختيار أدهم دون أخوته هو كفاءته فى إدارة الوقف لا مجرد امتحان للطاعة ولا اختبار للسلطة ، وبذلك فان عصيان إدريس لا ينبغى تفسيره على أنه مجرد توزيع لأدوار الخير والشر فى لعبة الوجود ، وإنما هو إشارة لأولوية العمل على النزعات التجريدية الميتافيزيقية .

ومعنى هذا أيضا أن الصراع فى الرواية لا يقوم بين الخير والشر فى المطلق ، وإنما تجسد فى بؤرة جديدة تماما هى إرادة سكان الحارة فى انتظام الموازين والعدل بين الجميع وشيوع الوفرة والرخاء والعمران . وما انحراف الأجيال المتعاقبة ، ومحاولات التصحيح التى قام بها كل من جبل ورفاعة وقاسم إلا تأكيد لحقيقة بادهة هى حق أبناء الحارة جميعا فى خيرات الوقف بالتساوى ، مهما كانت شروط الواقف السرية التى لم يطلع عليها أحدا ووصيته التى أخفتها السلطات فى مختلف الأزمان - حتى ليتطرق الشك إلى عرفة أنها